شَعْرَنةُ الموقف الثوري رفضُ المفروضِ السلطوي: تأكيدُ المخصوصِ الذاتي شعرُ الخوارج أنموذجاً

م. د. محمد حسين محمود
جامعة تكريت / كلية التربية قسم اللغة العربية

الملخص

يرتبط الشعر بظاهرة " الرفض " ارتباطاً شديداً، ولا يبالغ الدارس إذا ما رأى أنَّ الشعر ذاته، منذ تاريخ وجوده إلى يومنا، في مضامينه البارزة هو الرفض، بسبب هموم العصر وتناقضاته التي تكاد تشمل كل الميادين والمجالات، إذ يجد الشعراء أنفسهم تجاه واقعهم الاجتماعي المعيش، وقد تقاذفتهم هموم الحياة اليومية فينزعون للتعبير عن آمالهم وآلامهم بكل غضب وسخط، ومن ثمَّ تولد ابداعتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة والرفض.

إذن فإن اقتران الشعر بالرفض مزيّة من المزايا التي ينفرد بها الشعر، ووضوحه في الشعر يرجع إلى طبيعة الشعر من جهة، وإلى نفسية الشاعر من جهة ثانية فلم يكن ولن يكون الشعر كذلك شعراً بحقّ إلاّ لأنّه ثوريّ، بأوسع معاني الكلمة، فكل عمل شعري يستحق هذا الوصف بجدارة، إنّما ينطوي على رؤية للواقع ترفضُ فيه عنصر السّكون وتتمرد عليه... فالشعر خروج من سكون " اللاتاريخ " إلى حركة التاريخ. وبهذا المعنى فهو ثوريّ من الطّراز الأول، وهو الضّمان الأدبيّ لاستمرار فعل الرفض الثوريّ وأطّراده.

إنَّها قضية الحلم الآتي، قضية الحزن يولد فجراً جديداً، قضية الغيمة العابسة التي ينبغي أن يمد إليها الطير منقاره، قضية الضحكة المؤجلة، الضحكة الأخيرة. ثم إنَّ اقتناعه بهذه القضية يجعله متحمساً لها، ممّا يحثه على دعوة الآخرين إلى الاقتناع بها والعمل من أجلها.

والإنسان يستمد بقاءه من الجماعة فهو يحيا فيها وبها وهي التي تلهمه الثورة والتمرد، وتعزز فيه ذاتيته، وتشحذ ذهنه للبحث عن اللباب والمضمون الإنساني في العلاقات الاجتماعية، وفي أشكال الإنتاج، والرافض يظل يترنح بين قطبي الاتصال والانفصال أي هو المتصل المنفصل والمنفصل المتصل. وذلك لخرق حجاب الصمت والمغامرة بالرفض، هذا الرفض الذي سنحاول تحديد بنيته وتجلياتها بوصفه أكثر وضوحاً

وإقناعاً في إنتاج دلالة الرفض. ويحاول الشاعر أن يبلغ بواسطته آراءه من الحياة، وخواطره ازاء ملابسات الواقع وتفجعاته.

ويبدو هذا العمل في الظاهر وحده، إلاَّ أنَّه متراكب العوالم ومتباعد الظواهر متكاتف الأحاسيس، ومنها ما هو متصل بثقافة الشاعر، ومنها ما يتصل بمواقف الشاعر من مشاكلات مجتمعه. وتتمثل عملية التحليل في تفكيك هذه العوامل بعضها عن بعض لنظفر بالحالة التأملية، وهي الجرأة على فضح الواقع والتنديد به.

ويكون النص الشعري في النهاية رؤية ومُوقفاً ذاتياً من الوجود في تداخل مظاهره وتفاعل عناصره وذلك ما يجعل من الشعر موقفاً من العالم، وإعادة صياغة له تتجاوز واقعه الموضوعي إلى علاقته الجدلية بالذات الشاعرة واندماج تلك الذات في هذا الواقع وفق صيغة إنسانية، وفي المحصلة أنسنة الوجود لا وصفه خارجياً؛ وهذا هو الإنجاز الأول الذي حققه شعر الخوارج في رفضه كلَّ ما غدا جاهزاً.

وهذا ما يفاقم من حِدة شعورهم ويدفعهم إلى اختيار رؤية الرفض وتبنيها باعتبارها السلاح الذي تبقَّى لديهم، السلاح الذي إمَّا أن ينجحوا من خلاله في رد الاعتبار لأنفسهم وللآخرين، وإمَّا في الأقل أن يتمكنوا بواسطته من وضع مسافةٍ بين أحلامهم وتطلعاتهم وبين الواقع ومسوغاته. إنَّ الرفض ثورة فكرية أو دينية أو فلسفية تُنشِدُ البديل.

فكان فكر الخوارج الثوري خطرٌ على الأنظمة المزورة، التي تستَّر بالشرعية والدين وحماية المصالح العامة، وتدَّعي أنَّها تحمي وتسهر للحفاظ على قيم الأمة ومقدساتها، وتزعم أنَّها توزع الحق والخير والعدل على النّاس كافة، دون تمييز أو محاباة، وهي لم توزع في واقع الأمر الأموال العامة إلاّ على الأعوان والأنصار. ولينادوا بالرجوع إلى الصدق، والكرم، والشجاعة، قبل تفشي التفاوت ما بين الناس وانتشار الظلم والفساد.

وقد جاء البحث على ثلاثة مباحث تناول الأول منها رفض النظام أي سلطة الحاكم إذ الخروج على الإمام الجائر، هو أحد الأسس التي قام عليها المذهب الخارجي وهو حق مفروض وواجب مطلوب الأداء، وقد مارس الخوارج هذا الحق وقاموا بهذا الواجب طوال حياتهم السياسية، فكانوا بذلك خطراً حقيقياً يتهدد الحكام وأنظمة الحكم التي تعاقبت عليهم. أمَّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان الثورة على الواقع وتفاصيله، فما يقبله الشاعر أقل بكثير مما يرفضه، ليدخل الشعراء تجربة الرفض أو ينطلقون في تجربة الاختلاف مع الواقع، لا من أجل الخلاف لذاته وإنَّما من أجل توظيفه لخدمة رؤيتهم الجديدة، من أجل

طرح نوع من المواجهة التي تمثل شرارة للإبداع، أمَّا المبحث الثالث فقد تناول فكرة إعادة تنظيم العالم؛ فلا يجابه ولا يواجه (الرافض) واقعاً أو فكراً أو معتقداً بالرفض والنفي، إلاّ إذا كان على قناعة فكرية ودراية علمية أنَّ ما يملكه ويريد تقديمه يقوم بديلاً حقاً عمَّا يرفضه ويبتغي استبداله.

والحمدُ للهِ تعالى أولاً وآخِراً

المبحثُ الأول : رفضُ النظام

لطالما كان منطق الرفض هو القوة لا الضعف، المستمدّة من الثقافة وما تحمله من مضامين متنوعة الأغراض ومتشعبة الموارد. ومن وعي الإنسان الرّساليّ في الكون بضرورة الرفض لكل ما من شأنه تعكير صفو الاجتماع الإنساني، في أي مجال من مجالاته، على تعدُّدِها وجلال قدرها التي تكوّن المنظومة النفسية والعقلية وحتى الجسدية للإنسان. وقد يسمو الرفض ويتطور فيُضحي ضرورة أدبية ودينية مؤسَّسَة على ضوابط ونُظُم، كما هو شأن الحركات الثورية والجهادية الرافضة في العالم، لمّا يشعر به الإنسان من أنَّ الأخطار تهدد كيانهُ والوقائع تفت معتقده.

فإذا كانت الثورة محدودة الهدف، فإنَّها سرعان ما تفقد جوهرها الثوريّ الرافض وتقع في دائرة السكون المميت. عند ذاك يظل الأمل مُعلّقاً بالشعر في أن يعيد إليها الحركة أو لِنَقُلْ يعيدُ إليها جوهرها "[١] وأما ما يرجع إلى الشاعر: فالشّاعر إنسان متميز من عامة النّاس، في المجتمع الواحد سواء بمواهبه أو بفكره أو بنظرته إلى الحياة، فهو دائم الحركة رافض للسكون والذّل والمسكنة، محبّ للتغيير، ومن هنا يكون إبداعه الشّعري، مُتّسماً بالقلق والسخط والانفعال، ثم بالثورة والرفض. [٢] فالشاعر صاحب رؤية واضحة وقضية محددة. إنَّ الرفض إنسان يحسن قول " لا " متى رأى الموقف يتطلب ذلك انطلاقاً من قناعة دينية أو فكرية أو فلسفية وبعيداً عن كل " اعتباطية" أو " جزافية "[٣]

فثمة، يقوم الرافضون ذائدين عن حياضهم وحياض أُمّتهم التي تمثل سبب وجودهم، وحاملة إرثهم. ويكون الشاعر لسان أُمّته وضميرها وأوّل الذائدين عنها بحكم تيقظ شعوره، وتأجّج نفسيته نحو رفض الظلم والضّيم. لهذا "عرف الخوارج بأنَّهم الحزب الجمهوري في الإسلام، وأنَّهم روّاد الديمقراطية الأوائل عند العرب"[٤] والذي يميز عقيدتهم هو التمسك بها والتفاني في سبيلها، والمراقبة الصارمة للنفس، وتكريسها في خدمة الآخرة.

فالخوارج بطبيعة تكوينهم السياسي والديني، هم جماعة من المحاربين انشغلوا في أمر تقويم ما رأوه اعوجاجاً، وفي إعادة الحق إلى نصابه، وأغفلوا كل ما عدا ذلك، فهمُّهم الأول وشغلهم الشاغل هو تحقيق المدينة الفاضلة التي اختاروها، وإقامة دولة الإسلام على الأُسس التي رسموها.

لذا فـ" إنَّها الثورة التي تكشف الزيف، وتعرّي الواقع، وتسمّي الأشياء بأسمائها، وتشير بأصابع الاتهام والإنذار إلى مواطن الخطأ والظلم، لذا فإنَّها كانت وما زالت مرفوضة من كلّ أنواع الحكام الظالمين، والمتسلطين بالقوة والهيمنة العاتية، سواء في ذلك عالم الأمس، أو عالم اليوم، عالمنا العربي أو العالم الأوسع، ممن يتزيَّا بالديمقراطية والعدالة والتقدمية والثورية. والهدف الكبير يستحق التضحية بالغالي والرخيص، هذا منطق الثوار لا منطق الإصلاحيين الذين يتخلون عن المبادئ مقابل السلامة والأمان، ويرضون من الغنيمة بالإياب، ويتبنّون المواقف التي تدّعي المحافظة على الحضارة القائمة، وعدم تعريض المجتمع لويلات التغيير والتبديل، ونسف القيم السائدة، التي هي في الحقيقة غير ذات مضمون، أو أنّ مضمونها كاذب مزور، وهذا الموقف المتخاذل، هو الوجه المقابل للثورة، والمعاكس لها، والذي انعكست عليه صور معظم فئات المسلمين "[٥]. فالفكر الثوري للخوارج نابع من فكرة " الإسلام الثائر، فهو يضع فكرة حكم الله ضد الحكومة القائمة، يدعو النّاس إلى قتال أُمية وعمالها في سبيل الله، وإلى قتال الشر، والقوة في سبيل الحق والعدل"[٦] .

وهذا ما يعزز ويؤكد أنَّ " الخوارج كانوا ذوي منطق سليم، وسلوكية فذة، وأخلاقية عالية، ونظرة مثالية إلى الأمور، وكانوا مثلاً أعلى في تديّنهم، في موقفهم من الحكام، في سلوكهم الشخصي، وصدقهم مع أنفسهم ومراقبتهم لتصرفاتهم، وحبهم لله وللآخرة، وزهدهم في الدنيا، ونظريتهم الجمهورية للحكم "[٧] .

لذا فكانت عملية الخروج على السلطان الجائر " واجباً فرديّاً، وفرض عين، لا ينوب فيه أحد عن أحد، المهم أنَّهم خرجوا على الظلم وقالوا: (لا) للطغيان ولتكن بعد ذلك ما تكون النتيجة"[٨] . إذ إنَّ الحض على الثورة لتغيير النظام الاجتماعي القائم، والتطاول على ولاة الأمر بالتسفيه والتكفير، إنَّما هو موضوع جديد في أدب العرب. فكان " الفكر الثوري الانقلابي الذي حمله الخوارج، وحاولوا تحقيقه وتطبيقه كان ناقوس الخطر الأكبر، الذي ما فتئ رنينه يقلق الخلفاء ويقض مضاجعهم. فنظرية الخوارج الجمهورية في الحكم،

واستمالتهم من أجل تحقيقها في الواقع العربي الإسلامي، كانت بمثابة الإنذار المرعب والدائم لأنظمة الحكم الملكية الوراثية التي عرفها العالم الإسلامي طوال قرون كثيرة، هذه النظرية التي تهدد الأساس الذي تقوم عليه أنظمة الحكم، وتنذره بالانهيار وتطاره بشبح الشورى "[٩].

إنَّ الرفض والتمرد بات قدراً للشاعر العربي، فقد دفعته الظروف القاسية، والأزمات المتلاحقة إلى تبني رؤية الرفض والتمرد بوصفهما السلاح الذي بقي لديه لرد الاعتبار لنفسه وللآخرين و تمكنه من وضع مسافة بين أحلامه وتطلعاته، وبين الواقع ومسوغاته.

فالشاعر ينطلق في تجربته الشعرية من تجربة الاختلاف مع الواقع، لا من أجل الخلاف في حد ذاته وربما من استثماره وتوظيفه لخدمة رؤية الخوارج الجديدة؛ من أجل عرض نوع من المواجهة لما يراه الشاعر نوعاً من الرفض. فنجد أنَّ الشاعر الخارجي ما إنْ يتعرض لموقف غبن حتى تتعالى صيحته الرافضة للظلم والعدوان بكل اشكالها وانواعها، فهذا الشاعر الخارجي عيزار بن الأخنس الطائي السنبسي، خرج يوم النهروان بين الصفَّين وأنشأ قائلاً:

ينـــادون لا لا حُكْـــمَ إلا لربِّنـــا حنانَيْـــكَ فـــاغفرْ حَوْبنـــا والمســـاويا
هـمُ فـارقوا فـي اللهِ مَـنْ جـار حُكْمُـهُ وكـــلٌّ عـــن الـــرحمن أَصـــبحَ راضـــيا
فـــلا وإلـــهِ النـــاسِ مـــا هـــابَ مَعْشَـــرٌ علـى النهـرِ فـي اللهِ الحتـوفَ القواضـيا[١٠]

فنجد هنا أداة النفي، الرافضة (لا) جاءت بصيغة التكرار مرتين لأجل تأكيد معنى أن الحكم لله تعالى وحده ولا طاعة للحاكم العاصي والأمر الله تعالى، والرضا بما قدرهُ تعالى من أوامر ولا طاعة لمخلوق سواه، ثم تأتي (لا) الثالثة للنفي كذلك والواو في (وإله) للقسم بأنَّ الموت مكتوب لهذه الفئة؛ لأنَّها تتمنى نيل الشهادة والاندفاع نحوها، فهم لا يهابونها، بعكس البقية التي تحرص على الحياة؛ فهي (لا) رافضة للحاكم ومشروعية إطاعته، معلنة رفضها بشكل قاطع للخضوع والاستسلام والقهر، تجاه التيار الآخر الذي تقف بوجهه، وتؤكد في الوقت نفسه رفض الجبن والانكسار في ساحة المعركة أمام التيار المعادي لأفكارها.

وهذا ما يؤكد أنَّ شدة اعتزاز العربي بكرامته وكبريائه، ورفضه أية محاولة ترمي إلى النيل من شخصيته أو اذلاله يعود إلى تربيته العربية الإسلامية، والدينية الأصيلة التي غرست في نفسه حب الآباء والأنفة، والترفع عن مهاوي الذل والإهانة والعبودية.

فالإسلام دين سماوي سمح جاء ليُرسي دعائم الحياة الاجتماعية العادلة التي تضمن للإنسان الحرية والكرامة، وليرفع عن كاهله كل اشكال الذل والضيم وهذا ما دفع العربي إلى التمسك بكرامته واعتداده بنفسه رافضاً الذل والهوان.[١١] ويعيب شعراء الخوارج على أعدائهم عدم ثباتهم على عقيدة، فنجد عبيدة بن هلال اليشكري، يرد على مصعب بن الزبير عندما تولى أمر العراق وتهددهم، قائلاً:

فلسنا بأنكاسٍ قصارٍ رماحُنَا ولا نحن نخشى وثبةَ المتوثب
ولسنا نقولُ الدهرَ عصمةُ أمرنا على كلِّ حالٍ كان طاعةُ مصعب
ولكن نقولُ الحكمُ للهِ وَحْدَهُ وباللهِ نرضى والنبي المقرب[١٢]

فرفض الخوف من سلطة الحاكم والمتمثل هنا بـ(مصعب بن الزبير) ونفي الجبن عن الخوارج هو دليل على أنَّهم من القوم الكرام أصحاب مجد وشجاعة (فلسنا بأنكاسٍ قصارٍ رماحُنَا) ولا هم يخشون من العدو أو من يريد التنكيل بهم (ولا نحن نخشى وثبةَ المتوثب) فالحكم والطاعة عندهم هي لله وحده وليس لشخص الحاكم أو السلطان، أي هو صوت عالٍ لرفض سلطة الحاكم وذلك من أجل العمل تحت مبدأ الجماعة المتمثلة بـ(الخوارج) التي تعمل على وفق مبدأ القرآن ومنهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) والرضا بهذه الشريعة من دون سلطة الوالي أو الحاكم. إذ تطغى هنا معاني الرفض الصارمة القاطعة لكل ألوان الاستسلام والمساومة.

إنَّ صراحة الخوارج وجرأتهم في قول الحق، كانتا تسبّبان إحراجات وإرباكات للخلفاء والأُمراء الذين عاصروهم، سواء كان ذلك في لقائهم بهم، أو في غيابهم فهم ينطقون بالحقيقة الموجعة، ويقولون بألسنتهم كل ما في قلوبهم. [١٣] فقد عبر شعراء الخوارج عن رفضهم الظلم والضيم بعد أن خاضوا تجارب مريرة جعلتهم يدركون معنى الظلم، وما جره من سلب حقوقهم وحريتهم.

لذلك دعوا إلى الوقوف بوجه الظلم والظالمين مستمدين قوتهم تلك من مبادئ الدين الاسلامي، وتعاليمه التي دعت إلى محاربة الظلم واجتنابه، وعدم الخضوع للظالم مهما كان شأنه، كل ذلك دفعهم إلى رفض الظلم رفضاً قاطعاً مهما كان شكله وأياً كانت اسبابه. إنَّ اعتداد الإنسان العربي بنفسه، وإيمانه بصحة موقفه دفعه إلى رفض العدوان والوقوف بوجه الظالم، وعدم الانصياع لرغباته، فهذا رجل من الخوارج لما قدمه الحجاج ليقتل، قال:

وقد كان مولى المؤمنين وإنني مقرٌّ به في كلِّ نادٍ ومشهد

فـــذلك دينـــي لا أديـــن بغيـــره ولســـتُ كهـــذا الكـــافرِ المتلـــدّد[١٤]

فنجد أنَّ رفض سلطة الحاكم وجوره وعقيدته كانت موضوعاً من موضوعات الرفض لدى الخوارج (فذلك ديني لا أدين بغيره) لأنَّ الشاعر مؤمن بفكرة الخوارج ومشروعيتها دون غيرها في تبني العقيدة التي تسلك سبل النجاة من النار والفوز بالجنة، والاندفاع نحو مشروع الشهادة بكل عزم من دون خوف من سلطة الحاكم المتمثلة هنا بالحجاج. لذا كان رفضهم السياسي صرخة في وجه المفروض السلطوي أي الحاكم، فهو رفض للهزيمة وعدم اعتراف بشرعية الواقع.

إذ الخروج على الإمام الجائر[١٥] ، هو أحد الأسس التي قام عليها المذهب الخارجي وهو حق مفروض وواجب مطلوب الأداء، وقد مارس الخوارج هذا الحق وقاموا بهذا الواجب طوال حياتهم السياسية، فكانوا بذلك خطراً حقيقياً يتهدد الحكام وأنظمة الحكم التي تعاقبت عليهم. ورسالتهم تلك كانت تعبيراً عن رغبتهم في إقامة العدالة الاجتماعية التي نادى بها الدين الإسلامي، والوقوف بوجه من يحاول استغلال القوانين التي شرعها الإسلام لمصلحته الخاصة.

إنَّ هذه الصرخة الرافضة للظلم التي اطلقها شعراء الخوارج لم تتولد لديهم عبثاً، وإنَّما جاءت بعد معاناة حقيقية، وتجارب حية جعلتهم يدركون ويقرون بمرارة الظلم وقساوته. فالإسلام يدعو إلى الحياة الحرة الكريمة التي توفر للمسلم المكان الذي يعيش فيه عزيزاً حراً كريماً، أمَّا إذا وجد المسلم أنَّ عيشه أصبح مهيناً في ذلك المكان فعليه أن يبحث عن دار الكرامة في مكان آخر. فالمسلمون ليسوا ممن يرضون بالذل والإهانة.

فمهما توافرت لديه من عناصر القوة والمنعة ما يجعله يخال نفسه قويا منيعاً، فيحاول ممارسة نوازعه الشريرة، وفرض ظلمه وعدوانه على خصومه متصوراً أنَّه لن يلقى منهم الآباء، والأنفة التي تدفعهم إلى دفع غائلة الظلم عنهم.

ولعل هذا الرفض جاء كذلك من منطلق " الاغتراب المرتبط بصورة أقوى بالانفصال عن الزمن الذي يعيش فيه المرء "[١٦] وهي " ليست مرضاً يتصل بتصدّع الذات "[١٧] لذا فإنَّ غربتهم هي " غربة الهمّة وهي غربة طلب الحق وهي غربة العارف"[١٨] وهذه غربة طبيعة في حياة شاعر مسلم ملتزم بقضية أُمّته. وما هذه الغربة " إلا تحصين للنفس وتجنيب لها وخشية عليها من مغبة الانزلاق إلى مثل هذا الواقع الذي يمثل موتاً بطيئاً للإنسان "[١٩] .

فليس الرفض فقط هاجساً نفسياً أو انفعالاً عاطفياً يستجيب به لدوافع ذاتية عابرة، بل هو فلسفة تبلورت ملامحها من توّجه الشاعر العقائدي، وتكوينه التربوي. والخوارج واضحون في معتقداتهم الدينية لا ينافقون الحاكم الظالم، يتحلون بأعلى درجات الصدق مع النفس، ولا يساومون على معتقداتهم، وكانوا مثالاً أعلى في تديُّنهم، وفي موقفهم من الحكام.

المبحث الثاني : الثورة على الواقع

يشتبك الشاعر عبر تنامي وعيه الإنساني شأنه شأن غيره من البشر، مع واقعه، ويأخذ الكون شكل ما يعرض عليه أو يعترضه، أو يتعرض طريقه، وهو في ذلك يأخذ ويترك، يقبل ويعرض، يرغب في ويرغب عن، يخاف ويهاب، ويطمئن، مما يحول الحياة برمتها إلى ثنائية المقبول والمرفوض، الداخل في الدائرة ما يمكن أن يتغير، والخارج من دائرة الإصلاح، أو ما يمكن إصلاحه، مع مراعاة أنَّ الكون يتحول لدى الشاعر إلى قصيدة ليست تستعصى دائماً، تداور، وتناور أحياناً، لكنها تلين في نهاية الأمر، لذا فإنَّ فكرة الإصلاح لديه ليست بعيدة المنال، ومن ثم يكون رفضه الأشياء بغية وضعها في سياقها الصحيح أو وضعها في نسق مناسب يعيد به تشكيل العالم بصورة أفضل.

فيكون الشاعر موزعاً بين ثنائيتين، محكوماً بهما، تبدوان ظاهرياً وسيلة لتعرّف عالم الشاعر وبعض تفاصيل ما يعانيه: العام والخاص، القضايا العامة والقضايا الخاصة، العامة التي يشتبك معها الشاعر فيعبر عنها كاشفاً عن رؤيته للحظة التاريخية التي يعيشها، عارضاً رؤيته للعالم، مُشكلاً وعي متلقيه عبر عملية الكشف التي يكاد يقدمها للواقع، والسعي لتعرية ما تغطيه عوامل الفساد، أو عوامل القهر والدكتاتورية، ولأنَّ الشاعر أبرع الكائنات في الكشف عن هذه الجوانب، فإنَّ مقاربة الشعر تكشف عمق الرؤية الإنسانية، وتضعنا على مقاربة من النص الشعري مُتيحاً لنا القدرة على الكشف عن أبعاد فنية جديدة خاصة بهذا النوع من النصوص الشعرية، مما يضعنا أمام قراءة جديدة للنص الشعري العربي مستفيدين من النظرة الكلية للنوع الشعري. (٢٠)

والشاعر عبر هذه الزاوية ينقلنا من عمق الداخل (ذاته) إلى عمق الخارج (مجتمعه) مما يتح لنا أن نرى ما نراه ممراً برؤيته ومحملاً بوعيه، حيث هو يدخل التجربة طوعاً أو كرهاً فيجد نفسه في موقع مسؤولية الكشف. وفي الجانب الثاني الخاص ينقلنا الشاعر من

عمق الخارج إلى عمق الذات في رؤية لخلفية الصورة، صورة الذات ممرة عبر تجاربها الخاصة.

فما يقبله الشاعر الخارجي أقل بكثير مما يرفضه، ليدخل الشعراء تجربة الرفض أو ينطلقون في تجربة الاختلاف مع الواقع، لا من أجل الخلاف في حد ذاته وإنَّما من أجل توظيفه لخدمة رؤيتهم الجديدة، من أجل عرض نوع من المواجهة التي تمثل شرارة للإبداع، وفي هذا الصدد قال روللو ماي " النظرية هي: إن الإبداع يحدث في فعل المواجهة وينبغي فهمه على أساس أنَّ هذه المواجهة هي مركزه " (٢١)

إنّنا نتعامل هنا مع الرفض بوصفه تقنية/ آلية تحكم عملية إنتاج الدلالة النصية اعتماداً على أسبابه واعتماداَ أن مقولة أن الشاعر رافض ضرورةً، وهي النظرة الثانية التي نعول عليها كثيراً. إنَّ ذات الشاعر هنا تمثل ساحة الصراع، معركة – جدلية الهدم والبناء – وهي في الوقت الذي تخوض فيه معركة التضاد الداخلي الجاري في أعماقها، تخوض معركة أخرى لا تقل ضراوة مع التضاد الذي تعانيه من الخارج – التضاد مع المجتمع أو الوسط المادي. (٢٢)

وتعددت اشكال الرفض، وموضوعاته، وتفاصيله، ما بين رفض الظلم والقهر، والاستغلال، وكل ما يسبب الألم للإنسان أو يشكل مُعيقاً لوجوده، أو مُنغصاً عليه لحظته الإنسانية، وتنوعت اساليب الشعراء في التعبير عنه، ما بين الصوت المرتفع الصاخب، والصرخة في وجه كل أسباب القهر الإنساني، والهمس المتفجر، والرمز السافر. (٢٣) وكانت " ثورية تحمل مُثلاً دينية، دون ان تتبلور في عقولهم عقيدة واضحة المعالم، ولعل ذلك جعلهم أميل إلى التطرف والانفعال منه إلى العمل الفكري الهادئ المنظم، ولعل الشروط التي وُجد فيها الخوارج لم تسمح لهم بتعميق مبادئهم وعقلنتها " (٢٤)

إنَّ تنامي وعي الإنسان، وإدراكه ما يحيط به من ظروف وملابسات، يضعه في مواجهة دائمة مع الداخل والخارج على حدٍّ سواء، ولا يمكن تحقيق المصالحة بين الأثنين إلاّ من خلال المرور ببوابة الرفض، بوصفه المرشحة التي تترشح عبرها معظم القناعات والاختيارات، ولذلك يعد القبول مرحلة تالية للرفض، وإذا كان الإنسان ميالاً للرفض أكثر منه للقبول، فإنَّ الشاعر أولى بذلك فهو رافض ضرورةً، ورفضه يهدف بالدرجة الأولى إلى تعرية الواقع، وكشف عوامل القهر والدكتاتورية فيه، ومواجهة جوانب الضعف والاختلال

بغية إصلاحها وتقويمها، وهو في ذلك كله يصدر عن تجربته الخاصة مستلهماً تجربة الجماعة. (٢٥)

هذه المواجهة لا تقتصر على اتخاذ موقف مضاد من وقائع مسلم بها، إنَّما هو موقف إيجابي من واقع سلبي، لذا نرى ادونيس يحدد الرفض على أنه تجاوز الواقع إلى واقع أفضل " الرفض بحد ذاته عنصر هدم ولكن ما من ثورية أو حضارة جديدة تأتي دون أن يتقدمها الرفض ويمهد لها، فإذا رفضنا أن نأخذ حياتنا بحضورنا المظلم والزائف لا يعني أننا نتخلى عنها إنَّما نتخطى هذا الحضور إلى حضور لائق، ومن هنا فإنَّ مهمة الرفض تكمن في إرادة التغيير فهو لـــــيس هرباً أو نفياً إنَّما هو مواجهة للواقع ودفاعاً عن الحرية". (٢٦) ومن هنا نجد أنَّ الرفض غير الاغتراب فالمغترب يسعى إلى الانفصال عن واقعه في حالته السلبية؛ أما الرافض فليس بهارب إنَّما هو مواجه حتى لو ترتب على هذه المواجهة التضحية بالذات. (٢٧)

إنَّ الإسلام يدعو إلى التضحية والشهادة في سبيل المبادئ التي جاء بها بعد أن بين للمسلمين ثواب الجهاد وفضله، وما ينتظر المجاهدين من نعيم وافر أعده الله سبحانه وتعالى. وهكذا فقد أصبح الجهاد في سبيل الله، والحرص على نيل الشهادة غاية سامية يسعى المسلمون لنيلها " وصورة متألقة في ضميرهم. تبدو الدنيا فيها مجازاً للآخرة، والآخرة ثواباً للدنيا، فيعيش من عاش فيها سعيداً، ويموت من مات فيها شهيداً. ومن هنا حرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة "(٢٨) فاندفعوا يعلنون رفضهم للحياة الدنيا من خلال بيان الخوف من النار في الآخرة، وقد سجل الشعر تلك المشاعر الصادقة التي جاشت في صدور المجاهدين، إذ قال أبو بلال مرداس بن أدية:

إنـــي وزنـــتُ الـــذي يبقـــى بعاجلـــةٍ تَفْنَـــى وشـــيكاً فـــلا واللهِ مـــا اتّزنـــا
تقـوى الإلـه وخـوفُ النـارِ أَخرجنـي وبيـعُ نفسـي بمـا ليسـتْ لـه ثمنـا(٢٩)

فالدنيا لدى الشاعر بما فيها من متاع، وزينة، وترف، وما يقابلها من (تقوى الإله، وخوفُ النارِ) و(وبيعُ نفسي) لن تتساوى من منظوره الخاص، وليس لها ثمن تجاه الفوز برضا الله ورحمته ونيل الشهادة في سبيله، فجاء الرفض من خلال اسلوب القسم (فلا واللهِ) لتأكيد على رفض متاع الدنيا وزخرفها بكل ما فيها من بهرج؛ لأنَّ النفس لله تعالى وحدهُ. ليعبر من خلال هذا الرفض عن زهده في الحياة الدنيا، فهو يرى أنَّ زهده الحقيقي هو تقوى الله سبحانه وتعالى.

فقد زاد الإحساس بالموت عند الخارجي بسبب كثرة الفتن والقتل في العصر الأموي، وهذا الإحساس كان يقتضي الحرية، والإيمان بالشخصيّة والشعر الخارجي خلاصة تجربة حيّة، وصدى لمزايا الشاعر الخارجي الذي تغلب عليه الصراحة والجرأة في القول، وتنبع أفكار الخوارج في أصولها من القرآن الكريم، ولكنهم تطرفوا وغالوا في ترجيح جانب وإهمال آخر، حتى بدا كأنهم يرفضون الحياة الدنيا، ويعزفون عن التمتع بما فيها، ورؤية ثنائية الحياة والموت في شعر الخوارج، هي رؤية تنكر هذه الثنائية؛ فالحياة مثل الموت، وحداتٌ متكررة، ولا وجود للموت حقاً، فكلُّ من يموت سعيد الحظ، ويصبح الخلود مثل الموت، جزءاً من دائرة، وحركة من الحضور إلى الغياب.

وتحقق من خلال الموت بهذا المفهوم حريةُ الخارجي وخلاصُه؛ ولذلك كان الموت أُمنية الخارجي؛ لما يرى من مكانة الشهيد في الحياة الآخروية الأبدية، وتلك قمة ثنائية الوجود؛ فالشهيد تصدى لإرادة الموت دفاعاً عن عقيدته، وارتقى إلى ذروة الخلود الأبدي.(٣٠) فمن الموت تتولَّدُ الحياة. كما في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ كما نجد أنَّ الشاعر أبو بلال مرداس، قد قال حين ألحَّ ابن زياد في طلب الخوارج وأخافهم، فعزم أبو بلال على الخروج، ودعا قومه فأجابوه:

إذ وظف الشاعر هنا رفض للحياة والإقبال على الموت من خلال عدم الهزيمة والفرار من أرض المعركة ساعة المواجهة؛ فهو ديدن الخوارج (ولا تحرمنَّنا) ودائماً ما يستعمل شعراء الخوارج صيغة الجماعة من خلال الضمير (النون) وهنا كرر الشاعر رفضه الحياة في المرة الأولى من خلال عدم الحرمان من الموت وتحقيق الشهادة من خلال الأداة (لا) أما (لا) الثانية فهي جاءت كذلك لتؤكد رفضهم الحياة والإقبال على الموت؛ فأجسادهم لا تخاف من السيوف القواطع بل لا تهابها ولا تحيد عنها أبداً، كيف لا وهم يواجهون الرماح برقابهم، والسيوف القواطع برؤوسهم، إذن هو رفض للحياة وإقبال شرس على الموت، بعنف، وشجاعة ولا يهابونه.

فالموت عند الشاعر الخارجي يتداخل مع الحياة لكونه جزءاً من الحياة ومرحلة منها، وإنَّ الانتصار على الموت يتم عبر مفهوم الخلود بالمعنى المعنوي في جنات النعيم. فالموت " ينظر إليه على أنَّه نهاية وبداية "[٣١] وتنوعت صورة الرفض كذلك وذلك من خلال الحوار مع الذات الشعرية ونهيها عن الدنيا مما نجده في قول الرهين بن سهم:

يا نفسُ قد طالَ في الدنيا مراوغتي ... لا تأمنينَ لصرفِ الدهرِ تنغيصا
إني لبائعُ ما يَفْنَى لباقيةٍ ... إن لم يَعُقْني رجاءُ العيشِ تربيصا
أخشى فجاءة قوم أن تعاجلني ... ولم أرد بِطوَالِ العمرِ تنقيصا
أسأل الله بيعَ النفسِ مُحتسباً ... حتى ألاقي في الفردوسِ حرقوصا
وابنَ المنيح ومرداساً وإخوته ... إذ فارقوا زهرةَ الدنيا مخاميصا
تخال صفَّهمْ في كلِّ معتركٍ ... للموتِ سوراً من البنيانِ مرصوصا[٣٢]

فجاء حوار الشاعر مع النفس في رفض السلبيات الموجودة في الحياة الدنيا بكل ما فيها من مظاهر الفرح؛ لأنَّها إلى فناء وزوال، والبقاء الأبدي هو في دار الجنان (لا تأمنينَ) فلا أمن مع الدنيا فمبتغى الشاعر الفردوس الأعلى في جنات الخلد؛ مفارقين أي الخوارج مفاتن الدنيا ومباهجها؛ فهم يواجهون الموت ويرفضون الحياة (للموتِ سوراً من البنيانِ مرصوصا) أي هم كالسوار أمام الخصم في مواجهة الموت ومصيرهم المحتوم بكل شجاعة وثقة في الأمل بالفوز والظفر بمرضاة الله تعالى. فالشاعر لا يعيش لنفسه " بل يعيش أيضاً لأُمته ويترابط معها ترابطاً اقتصادياً كما يترابط في وجدانه وإيمانه "[٣٣] لذلك كان حديثهم عن رفض الحياة الدنيا، ومتعها الزائلة يقترن دائماً بالحديث عن الجهاد ورغبتهم في المشاركة فيه.

وتبحث النماذج الشعرية الخارجية التي قامت على منطلق رفض هوان الحياة، المتمثل في النكوص عن المواجهة- هذه النماذج تبحث عن " شرف القتل في ميدان التحدي وإمكان الخلود في الآخرة، ولذلك صبروا في القتال "[٣٤] لأنَّ الموت الكريم لديهم أشهى من العسل، والموت أُمنية مشتهاة. وبهذا اليقين اندفع الخوارج إلى ميادين القتال، معتمدين الثورة طريقاً لبلوغ أهدافهم، فهذا أبو الوازع الراسبي، حث نافع بن الأزرق على الخروج، قائلاً:

لساتُكَ لا تنكي بهِ القومَ وإنَّما ... تنالُ بكفّيكَ النجاةَ من الكربِ
فَجاهدْ أُناساً حَاربوا الله واصطبرْ ... عسى الله أن يُخزي غَوِيَّ بني حربِ[٣٥]

فالشاعر يعلن حالة رفض الكلام من دون الفعل في المقارعة والمواجهة في ساحة المعركة، والجهاد لا يتحقق إلاّ باليد وليس بكلام وحده، فالنجاة من الهلاك والموت لا تكون إلاّ من خلال القتال، والمواجهة الحقيقة لا باللسان فقط والطعن في المقابل؛ فهنا دعوة للجهاد على من عصى أمر الله تعالى، وأبتعد عن طريقه بعد أن حاربوه بمخالفة تعاليمه وأوامره، والصبر دائماً مع الفعل المتحقق من خلال العمل، وهذا هو موقف الخوارج لمن يسير عكس هذا التيار. فنفس الشاعر مع لله تعالى وحده لا غير على وفق الرؤية الذاتية للشاعر التي لا تفارق فكرة الجهاد وتحقيق رضا الله تعالى ورفض كل ما يحول بينها وبين الشهادة.

وما دام الموت يأتي في موعد محدد فإنَّ الخارجي يستعجل ذلك الموعد ويسعى إليه، ليس لأنَّ الموت يخلصه من سواد الحياة، وإنَّما يقربه من معانقة حلمه في الخلود ويقربه من الصراع على السلطة، وكثرة الخلاف والتباين الاجتماعي القائم على المفارقة بين الأفكار والمُثل والواقع المعيشي وهذا كله " ترك أثراً على نفسيّة الشاعر الخارجي الذي كان يُعاني صراعاً مع نفسه، وصراعاً مع الواقع... "[٣٦] كما في قول الشاعر أبي الوازع الراسبي، إثر كلام بينه وبين نافع:

سأشري ولا أبغي سوى اللهِ صاحباً وأبيضَ كالمخراقِ عضبِ المضاربِ
فقد ظهر الجورُ المبيرُ وأجمعتْ على ذاك أقوامٌ كثيرو التكاذبِ[٣٧]

فهنا حالة من رفض الإعانة والعون إلا من الله وحده، وسيفه الذي يكون رفيق الشاعر في كل معركة يخوض غمارها، ويقتحم أجواءها من دون خوف أو وجل، بعد أن عم الظلم المهلك في قوم كان ديدنهم الكذب من دون وجه حق؛ فهو رفض لسلطة الكذب والظلم المتجسدة في صفة الخصم. إنَّ إيمان الشاعر المجاهد الراسخ بزوال الحياة الدنيا، وحتمية الموت، وخلود الأخرة، وبأنَّ الله لا يضيع أجر من جاهد في سبيله هو الذي دفعهم إلى التضحية والفداء.

ويمثلُ الانتصار على الواقع بالموت " مُطهراً حقيقياً للنفس، تُبعث بعده نقيّة من آثام الحياة، وإذا كانت الظروف القائمة لا تسمح بانتصار الخوارج، فإنَّ الموت يروق لهم كأنه المخلص الوحيد من سوء الواقع، وهذا الموت ذو مضمون إيجابي؛ لأنَّه لم يكن هرباً من مواجهة الحياة، بل كان سعياً متواصلاً لإحياء قيم الحق والعدالة "[٣٨]

فالموت عند الخوارج يفضي إلى نعيم لا يزول، وموت أعدائهم يقودهم إلى جحيم مؤبد، وبهذا اليقين كانوا يطلبون الموت. وهم لم يحاربوا أعداءهم فحسب، بل " حاربوا رغبات النفس ونزواتها، إذا ما تعارضت مع مبادئ عقيدتهم، ولعل إيمانهم الراسخ بحسن الجزاء الذي سينالونه قد عمق هذا التوجه نحو القيم والمُثل، على حساب الحاجات الجسدية كالطعام والشراب والنوم. فنجد ومن خلال عتاب الشاعر يزيد بن حبناء، قد قال في قصيدة له طويلة وكانت زوجه تطلب هدايا وألطافاً منها:

دعي اللومَ إنَّ العيشَ ليس بدائم ... ولا تعجلي باللوم يا أُمَّ عاصمِ
فان عَجِلَتْ منكِ الملامَةُ فاسمعي ... مقالةَ معنيٍّ بحقكِ عالم
ولا تعذلينا في الهديّةِ إنَّما ... تكونُ الهدايا من فُضُولِ المغانمِ
فليس بِمُهْدٍ مَنْ يكونُ نهارُهُ ... جلاداً ويُمسي ليلُهُ غَيرَ نَائمِ
يُريدُ ثَوابَ اللهِ يَوْماً بطعنةٍ ... غَموسٍ كَشِدْقِ العنبريِّ بن سالمِ[٣٩]

إنَّ رفض الشاعر التواصل مع زوجه بالأشياء التي تهيئ لها أسباب الفرح والسرور، مثل الهدايا والزينة؛ لأنَّ الشاعر على وفق منظور الخوارج يرى أنَّ الدنيا، بكلِّ ما فيها من ملذات فانية وإلى زوال، وليس لها استمرار أو ثبات؛ لذا فهو يدعو زوجه إلى التريث والتفكير العميق قبل أن توجه لومها له (ولا تعجلي) في عدم جلب الهدايا لها (ولا تعذلينا) وهو يعلل الأسباب ويقدم المسوّغات التي منعته من ذلك؛ لكونه لا يعيش حياة طبيعية ومستقرة، فنهاره معارك، وليله سهر ومشقة، وذلك كي ينال ما يحلم به من تحقيق الشهادة في ساحة المعركة بطعنة واسعة تقضي عليه، ليحقق مبتغاه بالفوز بنعمة الله تعالى وثوابه. ولعل هذا يتعارض مع قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ القصص. فهو شكل آخر من أشكال رفض الحياة من خلال الحوار مع الزوج التي تسعى إلى زينة الدنيا بكل ما فيها من مباهج، في مقابل الشاعر الرافض لهذه المتع التي يجدها زائلة ولا بقاء لها؛ لأنَّه صاحب فكر بعيد وعميق في طلب الآخرة وتحقيق حلم الشهادة بموت ليس بطبيعي، إنَّما موت تتمزق في أشلاء جسده، كي ينال أعلى مراتب الشهادة ويفوز بأجر الله وطاعته بعد أن أعد نفسه مُسبقاً لهذه الميتة من

خلال طول صبره ومكابدته للمشقات، وهو يتمنى من زوجه أن تُدرك حقيقة ما يفكر به وأن لا تسرع في الحكم عليه بأنَّه لا يريد أن يقدم لها ما يفرحها، ويدعوها للتفكير في أبعد من ذلك من خلال المقارنة بين عيشٍ مُنتهي وفاني لا يتحقق من خلاله أي شيء، وبين حياة أُخرى باقية وأزلية يتحقق فيها النـــــــعيم الأبدي، فهو"يرنو إلى مرتبة تخلده وتقربه من الله درجة " (٤٠)

فكان الشاعر الخارجي " لا يطمئن لمستقبله في الزمن الذي يخبئ، وألمه البالغ بسبب ما يعانيه من فداحة موت الآخر يدفعه إلى أن يتمنى أنَّه قُتل ولم يعش ليرى القتلى، فالخوارج يتقدون على الموت، ورغبتهم في الموت في سبيل عقيدتهم تغلب رغبتهم في تحقيق أهدافهم التي خرجوا انتصاراً لها، وحتى ليصبح رفض الحياة وطلب الموت لديهم هدفاً يُطلب لذاته "(٤١)

إنَّ اسباب الرفض قد تتباين وتختلف من شاعر إلى آخر بحسب الميل النفسي والانتماء الفكري والتكوين الثقافي، كما نجد حينما اشتدَّ الحصار على قطري في موقع (جيرفت) وبلغ أصحابه أنَّه يُريد الهرب، فقال له عامر بن عمرو السعدي إن قاتلتَ قاتلتُ معك، وإنْ هربت فأنّا أبرأُ إلى الله منك، فأمر به فضرب عنقه، فغضب ابن عمه حصين بن حفصة السعدي، وقال:

فمـــا جئتـــه أَعشـــو إليـــه بشـــبهةٍ ولا طالبـــاً مـــالاً ولا الجـــاهَ أطلـــبُ
ولكننـــــي أحـــــدثتُ للهِ توبـــــةً نُقِلْـــــتُ إليهـــــا والقلـــــوبُ تَقَلَّـــــب
ولـــم تـــكُ بـــي بعـــد البصـــيرةِ عَرْجَـــةٌ ولـــم يـــكُ لـــي بعـــد المهلَّـــبِ مـــذهبُ(٤٢)

فالشاعر يرفض سلطة المال والجاه والسعي في طلبها من السلطان، فهو يؤكد مرحلة الانتقال من حالة التمرد والعصيان إلى حالة الإيمان، والتوبة والثبات على منهج الخوارج وعقدتها التي اختار فيها أن يسلك طريق الموت وتحقيق الشهادة من أجل تأكيد هويتها، من دون الخوف من سلطة الحاكم المُستبد؛ فالشاعر هنا يرجو أن يحقق له الموت الخلود الأبدي الذي يتحقق مع التوبة إلى الله تعالى والسعي إلى الجهاد في سبيل تأكيد هويته. فكان الموت العنوان الذي اختاره الخوارج في رفضهم الواقع بكل ما فيه من تفاصيل، لذا قال الشاعر قطري بن الفجاءة المازني :

أقـــولُ لهـــا وقـــد طـــارتْ شَـــعَاعاً مـــن الأبطـــالِ ويحـــكِ لـــن تراعـــي
فانـــكِ لـــو ســـألتِ بقـــاءَ يـــومٍ علـــى الأَجَـــلِ الـــذي لـــكِ لـــم تُطـــاعي
فصـــبراً فـــي مجـــالِ المـــوتِ صـــبراً فمـــا نيـــلُ الخلـــودِ بمســـتطاعِ

ولا ثـــوبُ البقـــاءِ بثـــوبِ عـــزٍّ فَيُطْـوَى عـن أَخـي الخنـع اليـراع[٤٣]

هنا خطاب الشاعر للنفس ولذاته الإنسانية؛ وهو أنَّها تتأمل البقاء في الدنيا والخلود فيها، لكن هذا الأمل سرعان ما يتبدد وينتهي، فالواقع هو عكس ذلك فلا حياة سرمدية باقية إنَّما مصير الإنسان إلى الفناء والموت (ويحك لن تراعي) لذا فهو يسعى إلى تصبير نفسه. لأنَّ البقاء في الدنيا لا يعد ثوب فخر وعز، بإزاء الشهادة والموت في ساحة المعركة التي يتحقق من خلالها الخلود الأبدي في الجنة. فالشاعر الخارجي يبيع نفسه لله، ويؤثر الموت من أجل الحياة المرتبطة بالقيمة وبهذا " يجعل من الموت وجهاً آخر للحياة يقوده إلى الخلاص "[٤٤]

وتتردد في شعر الحرب عند الخوارج إرادة قوية، وعزيمة لا تلين وروح جبّارة، وتعبير فني عن عقيدتهم بالخلود، قال الشاعر قطري بن الفجاءة في خطابه لنفسه وهو يردعها من الدنيا بكل ما فيها من الوان الأمل:

يـــا نفـــس لا يلهينَّـــكِ الأَمَـــلُ فربمـــا أكـــذبَ المنـــى الأَجـــلُ[٤٥]

فكان خطاب الشاعر هنا للنفس التي تسعى وراء البقاء والأمل في إدراك العيش بسلامة، ولكن لكل شيء بداية ونهاية، فالحياة وفكرة البقاء السرمدي ليست واقعاً ممكناً وأُمنية قد تتحقق فكل شيء له نهاية، ونهاية الإنسان هو الموت والفناء، والرفض لفكرة الحياة عند الشاعر يأتي في خطابه النفس التي تسعى وراء الدنيا بكل ما فيها من ترف، وملذات، وفرح، ونشوة، وأمل في البقاء، فالحياة وأمل البقاء فيها هو شيء من الوهم والكذب، فهو تصبير للنفس على مغريات الدنيا، والتفكير لما هو أبعدُ من ذلك، في البقاء الأبدي في جنة الخلد حيث الأمل في الخلود الحقيقي وهي أمنية يتمناها الخوارج ويسعون إلى تحقيقها.

وتظهر في تطلعهم النوعي إلى الموت نغمة أخرى هي نغمة تأنيب النفس ولومها، على التقصير بالواجبات والتفريط بحق الإخوان، وقد أشار إلى هذا اللوم النفسي الدكتور احسان عباس في مقدمة نشرته عن شعر الخوارج.[٤٦] فكان خوضهم المعارك من أجل تحقيق المكاسب المعنوي لا المادي والسعي وراءها، كما نجد ذلك في قول الشاعر قطري بن الفجاءة:

وربَّ مصاليتٍ نشاطٍ إلى الوغى
أَخَضْتُهُمُ بَحْرَ الحِمامِ وَخُضْتُهُ
فأُبنا وقد حُزْنا الثوابَ ولم نُرِدْ

رفض المغانم في ساحات الحرب من الشاعر؛ هو تكرّم لرجاء ما هو أكبر من ذلك وهو الفوز برضا الله تعالى، فالشاعر يبتغي ثواب الله تعالى لا ثواب الدنيا ومغانمها (لا رجاءَ المغانم) وكثيراً ما يتردد في شعر الخوارج استخدام صيغة الجمع من خلال ضمير الجماعة وهو (النون) مثل (فأُبنا، حُزْنا) للدلالة على وحدة الانتماء إلى الجماعة ووحدة الترابط فيما بينهم في الفكر والعقيدة الرافضة للملذات بكل أنواعها واشكالها الموجودة في الحياة، إذن هو رفض للحياة وإقبال على الفوز برضا الله تعالى ورحمتهِ.

كما كانت أشعارهم تفيض بنزعة تشاؤميّة، ربما يكون مردها الظروف القاسية التي عاشوا في كنفها، إذ لم تجف دماؤهم طوال العصر الأموي؛ وذلك بعد أن أجمع المسلمون على محاربتهم ولم يتمكنوا من تحقيق الاستقرار السياسي فهم " لمّا ينظروا إلى الحياة الدنيا بمنظار قاتم، فلم يروا جمالها" [٤٨] ففكرة الخلود في الدنيا مستحيلة والموت لا محالة منه مهما اختلفت طريقة الموت، إذ قال حسان بن جعدة:

بنوا مقاصرَ في الدنيا لتخلدهم ... فمنْ لهم بخلودٍ في المقاصيرِ
هيهات لن يخلدوا فيها ولو حصروا ... حتى تروعَ أُناساً نفخةُ الصور
قد كان قبلهم قومٌ فما خلدوا ... وأصبحوا بين مقتولٍ ومقبور[٤٩]

ففكرة الخلود مرفوضة من الشاعر في نعيم الدنيا وملذاتها والغرق فيها ولا وجود لا حياة سرمدية، ومن جهة أخرى فهو تأكيد فكرة الفناء، وإنَّ البقاء الحقيقي في جنة الخلد التي لابد فيها من الحاجة إلى العمل المستمر في سبيل الوصول إليها والفوز بها (هيهات لن يخلدوا فيها ولو حصروا) لأنَّ مصير الإنسان هو القتل والموت والفناء، كما وقع مع الأقوام السابقين أصحبوا جزءاً من الماضي، فلا خلود مطلقاً في هذه الدنيا الفانية، وهذا ما أراد الشاعر أن يؤكده مُستعيراً صورة من سبقهم من الأقوام الذين نالهم الموت ولم يظفروا بالخلود.

المبحث الثالث : إعادةُ تنظيم العالم

حين يغدو الشعر سُلطاناً يتجاوز الروحي والذاتي إلى الإنساني المتسع لأرواح كائنات لا حصر لها، يحترق من أجل أن يولد من رماده – يبتكر مخلوقاته من داخله، يخلق

ويتخلق بالأنساق المعرفية المتراكمة يسير النص فوق العدم غير مبالٍ به، يحمل توصيفاته أنّى يشاء وإلى الأماكن المجهولة، المغلقة والمفتوحة، يذهب بأقصى غماقته إلى الشفافية ويستفيد من تعالقات التجنيس ومن قوة الكلمة المقدسة التي تخترق كل منحنيات الحياة، للوصول إلى المعاني الكبيرة والوصول بالمغامرة القصوى إلى أقصاها.

فالتطلعات للمستقبل قد ساعد على ابلاغها الشعر الذي قربه الخوارج من محنة الإنسان في الكون وواقعهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مع الإبقاء على الأغراض التقريبية المعهودة كالمدح والهجاء. وتبنوها قناعات فكرية ومن ثمة تبلور الرفض وتحتمت الثورة صرخة عميقة تزلزل الروح موقظة إياها من سبات عميق وخدر فكري زَيَّنَ للإنسان العربي أوهام الماضي على أنَّها حقائق وفي مقدمتها فكرة تاريخية عميقة تداولتها الأجيال على أنَّها مسلمة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وحركت في نفوسهم وضمائرهم مشاعر السخط والتمرد بحثاً عن حرية افتقدوها.

فكان رفضهم إنسانيّاً يشمل قيم الوجود وواقع الأمة في ماضيها وحاضرها، وتجليات هذا الواقع في السياسة والفكر والدين والعلاقات الاجتماعية. يقول أريك فروم : " إنَّ الفرد يكفّ عن أن يصبح نفسه، إنَّه يعتنق تماماً نوع الشخصية المقدمة له من جانب النماذج الحضارية، ولهذا فإنَّه يصبح دائماً شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون ... وعلى أية حال فإنَّ الثمن الذي يدفعه غالٍ.. إنَّه فقدان نفسه "[٥٠] وأصحاب المدرسة النفسية يؤكدون أنَّ اسباب وصول الإنسان إلى حالة الرفض هي إمكانية تملك الرغبات بالفرد إذ تدفعه إلى المطالبة والتحقيق مما سيؤدي إلى التصادم بينه وبين مجتمعه وعدم الاعتراف بواقعه. [٥١]

أما نوري حمودي القيسي فيرى أنَّ الرفض من المعطيات الإنسانية الكريمة إذ تتجلى صوره بشكل بطولي عبر اعمال الأمم الشعرية المتناثرة أو الأشكال والمظاهر المتفاوتة، وهو الذي يدعو الأمم الحية إلى أن تقف شامخة بوجه التحديات لأنَّه من المظاهر الحية لجوهر البطولة[٥٢]. ومسلك التمرد والعصيان الذي غدا رتيباً تقليدياً لأنَّه مسلك مرسوم ومنظر له سياجاته وحدوده في الفكر والشعور وكلا المسلكين يرفضهما شعرهم؛ لأنَّهما يحدان من نظرتهم الإنسانية وطابعهم وتأملاتهم في آفاق بكر وعوالم لم تطأها قدم إنسان من قبل.

لذا فهو رفض وجودي وميتافيزيقي، والسياسة لها أطرها القهرية ومؤسساتها القمعية واصرها اللاإنسانية. إذ لدى الخوارج عقيدة راسخة، وتصميم أكيد على بذل النفس والنفيس في سبيل نصرتها، فهم يمتازون بصراحة في الأقوال والأعمال، وقد مارسوا في كل مراحل حياتهم ديمقراطية أصيلة. (٥٣)

والذي يميز عقيدتهم هو الطريقة التي تدينوا بها: التمسك بالعقيدة، والتفاني في سبيلها، والمراقبة الصارمة للنفس، وتكريسها في خدمة الآخرة، هم متشددون في معتقداتهم وعباداتهم، ولديهم روح الفداء والتضحية في تاريخ النضال مع خصومهم، هذه أعلى درجات الصدق مع النفس والقيام بالواجب دون إكراه أو وازع إلاّ من الذات والضمير.

ولقد كان شعرهم مؤمناً بأنَّ الثقافة الحقة يجب أن يتحلى الموصوف بها بصفة النضال ضد الطبقية والرجعية والتخلف والقهر لحساب النهضة والحرية والكرامة لاسيما والمجتمع في المنعطف لم يخرج إلى آفاق الحرية، يتجلى هذا الرفض في حالة من الثورة العارمة والانفعالات الحادة المعبرة عن عمق الجرح ونزيفه.

إنَّ الإنسان لا يرفض شيئاً إلاَّ لأنَّه ملتزم بشيء آخر يتبناه ويدعو إليه، " فرفض وضع من الأوضاع يعني الموافقة على وضع آخر يخالفه "(٥٤) ومن معاني التمرد " الرفض الكامل للوضع الإنساني " (٥٥) ونجد أنَّ الرفض يستند إلى القبول من جهة ويطمح إلى التغيير من جهة أخرى، التغيير من سيءٍ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن على وفق عقيدة واتجاه سياسي أو ما كان من هذا القبيل.

لذا نجد العصر الأموي قد احتضن حركة شعرية واسعة، متّسمة بالرفض والثورة والنقد والمواجهة، وعلة ذلك هو أنّ هذا العصر قد شهد ميلاد أحزاب سياسية متنافرة، منها حزب بني أُميّة، وحزب الشيعة الموالين لأهل بيت النبي وحزب الخوارج وحزب الزبيريين.(٥٦) وكان لكل حزب شعراؤه الذين ينافحون عنه ويتصدّون لكل معارض.

وكان من المنطقي إذن أن يتسع نطاق الرفض ولا سيّما السياسيّ منه، وتتبدل مطالع القصائد من مطالع غزل إلى مطالع فخر أو مدح أو هجاء، وأمسى الشعر يمسّ العقل والمنطق أكثر مما كان موجّها للعواطف، " وهو من هذه الناحية يصوّر لنا التطور الذي أصاب العقل العربي في هذه العصور. فهاشميات الكميت حِجَاجٌ وجدال في مسألة الهاشميين، كما كان يجادل الحسن البصري وزملاؤه وتلاميذه في مسألة القدر "(٥٧) فكان

توجه الخوارج نحو تطبيق قيم السماء على الأرض وانصرافهم إلى تحقيق المجتمع الإسلامي الأمثل، الذي نسجته مخيلتهم.[٥٨]

وهم أي الخوارج لا يغيثون ملهوفاً، ولا ينجدون مستنجداً، ما لم تنطبق عليه شروطهم (الخارجية)، بل ربما قتلوه إنْ لم يكن أهلاً للنجدة، ولا يكون كذلك إنْ لم يكن مسلماً مؤمناً صحيح الإسلام والإيمان، أي أن يكون خارجياً.

فكان كرمهم وشجاعتهم ونجدتهم وغيرها من الصفات، هي في خدمة مذهبهم الديني والسياسي، تتمحور كلّها حوله، فهم شجعان حتى المُوت، لكن في سبيل المبدأ، وهم كرماء بالغالي والرخيص، ولكن لنصرة مذهبهم الخارجي.

لذا " فإنَّهم ملتزمون التزاماً صارماً: كل شيء من أجل المذهب، كل شيء من أجل القضية"[٥٩] لقد رأى الخوارج أنَّ الهزيمة والفرار إذا كانا لا ينجيان من الموت، فإنَّ الإقدام والتضحية لا يدنيان الأجل، لذلك حرصوا على حياة التضحية والشجاعة؛ لأنَّها حياة السؤدد والمجد، وقد عبر قطري بن الفجاءة المازني عن هذا الموقف قائلاً:

لا يَـــرْكنْ أَحَـــدٌ إلـــى الإحجـــامِ يـــومَ الـــوغى متخوفـــاً لحمـــامِ
فلقـــد أَرانـــي للرمـــاح دَرِيئَـــةً مـــن عـــن يمينـــي مـــرةً وأمـــامي
حتـى خضـبتُ بمـا تحـدَّر مـن دمـي أكنـــافَ ســـرجي أَو عنـــانَ لجـــامي[٦٠]

فرفض الحياة والإقبال على الموت في ساحة المعركة؛ هو مما يتفاخر به الخوارج (لا يَرْكنْ) فالشاعر يدفع بجسده الرماح في المعركة، حتى تشبعت سراج خيله والعنان بدمائه. فهي شجاعة ورفض للجبن والاستسلام وذلك جزء من تحقيق الخلود المعنوي للفارس العربي الذي لا يهاب الموت ولا ينحاش عنه. وهو سر شجاعتهم فصاحبها لا يعرف طريق الهزيمة، ولا يرتضيها لنفسه، وهو يستهين بكل صعب في سبيل تحقيق غايته التي يناضل من أجلها.

وقد اقترن تمسك الخوارج بالدين وإصرارهم على احتكاره بميلهم على الثورة والمخاطرة بأنفسهم، وإنَّ انشغالهم بالقتال عوّدهم على الموت، إلاَّ أنَّ هذا التعوّد لم يؤدِّ إلى دخولهم مع غيرهم من المسلمين في عنف عشوائي، إذ ظل القرآن حاضراً ومؤثراً، كما وجدوا ذلك في الآيات التي تحث على الجهاد، وتمجد الشهداء وتعدهم بنعيم الجنة ما يشجعهم على الثورة. فالرفض يمتاز عن بعض ما يجاوره من المصطلحات كـ (الاغتراب، والانفصال، والتشيؤ...) بما يكتنزه من طاقة تعبيرية لها قدرة على تحويل المعطيات السلبية إلى

معطيات ايجابية تتشكل عبر منجزات وإجراءات فنية وإبداعية وفكرية، تُسهم بشكل أو بآخر في رفد تيار التغيير على أرض الواقع. (٦١)

وهذا الرفض هو نوع من رفض التأمل أكثر منه رفض مواجهة لكنه بطبيعة الحال لا يمكننا النظر إليه بوصفه رفضاً سلبياً أو عبثياً يائساً، بل هو رفض متأمل يتأمل ظواهر الوجود، جوهره الانفصال ويكمن في باطنه سؤال مهم.(٦٢) فهذا عمرو القنا بن عميرة العنبري التميمي، قال يصف فيها الخوارج:

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا ... من غمرةِ الموتِ في حَوْماتها عودوا
عادوا فعادوا كراماً لا تنابلةً ... عند اللقاء ولا رُعْشٌ رعاديد
لا قومَ أكرمُ منهمْ يومَ قالَ لهم ... مُحَرِّضُ الموتِ عن أحسابكم ذودوا(٦٣)

إنَّ رفض الجبن والتقاعس عن القتال والخوف من الموت؛ هو ما يصف به الشاعر هنا الخوارج في إقبالهم على الموت بقوله: (لا تنابلةً) وعدم الفرار منه (ولا رُعْشٌ رعاديد) فهم لا يخشون الموت ولا يتحاشونه (لا قومَ أكرمُ منهمْ) فهم شجعان في مواجهة الموت وقتال الخصم في ساحة المعركة. لأنَّهم كانوا قد اقاموا فكرتهم الرافضة للهزيمة على مبدأ الإيمان بالحياة الآخرة، وعدالة القضية التي يناضلون من أجلها.

ذلك الإيمان الذي جعل فرسانهم يستهينون بالموت من أجل الفوز بنعيم الله – سبحانه وتعالى ورضوانه.(٦٤) وكانوا يرون الحرب التي يخوضونها " حرباً مقدسة، هدفُها إعادة الحق إلى نصابه، وإقامة حكم الله، فأخذوا يتسابقون إلى الموت وراء حياة ما بعد الموت "(٦٥) وانتفى لديهم الصراع بين الحياة والموت وتحول الصراع مع الآخر الذي يقف ضد مبدأ الخارجي وقيمه، وقد عرف الخوارج بالإخلاص الشديد لعقيدتهم، والشجاعة في حروبهم.(٦٦) وفي ظل هذا الصراع العنيف اتخذ الموت عُمقاً فلسفياً لم يعرف به أحد من شعراء الخوارج غيره؛ وهو بذلك يكشف عن جوهر النفس الإنسانية.

ونجد " نزعة الزهد عند الخوارج تدور في رحى أفكارهم حول الحياة والموت، وتقوى الله التي يرونها ضمانة الخلود "(٦٧) والشوق والخوف قرينان للخلود في الجنة أو النار. وليس من شك في أنَّ القصائد التي كشفت عن تمرد أصحابها الميتافيزيقي – أعني ثوراتهم على الموت والكون كانت إلى حدٍّ ما أثراً لشعورهم بالظلم التاريخي نفسه. (٦٨)

وكان الزهد مُنتشراً في نفوس الخوارج لكثرة ما أصابهم من التسلط السياسي والقهر الاجتماعي على يد الأمويين. ومن عوامل ثورة الخوارج أنَّهم كانوا من أبناء البادية الذين

اعتادوا خشونة العيش، وزادتهم تعاليم الإسلام ابتعاداً عن متع الحياة، ودفعتهم إلى التعلق بالجوهر الدائم، مما دفعهم إلى حياة الزهد وتقديم التضحيات الكثيرة، فهذا حارثة بن صخر القيني، قال وقد طلبه زياد فهرب، فقال:

تمنانـــــا ليلقانـــــا زيـــــادٌ ... سَـــفَاهاً والمنـــى طُـــرُقُ الضَّـــلالِ
فقلنـــا يـــا زيـــادُ دعِ الهوينـــا ... وشـــمِّرْ لا أَبـــا لـــكَ للقتـــالِ
فأنَّـــا لا نفـــرُّ مـــن المنايـــا ... ولا ننحـــاشُ مـــن ضَـــرْبِ النّصـــالِ
ولكنَّـــا نقـــيمُ لكـــمْ طعانـــاً ... وضـــرباً يختلـــي هـــامَ الرجـــالِ[٦٩]

فكان رفض الهزيمة في المعركة؛ هو عنوان شعر الخوارج الرافض للحياة والمُقدم على الموت (لا نفرُّ) كما ترفضُ صدورهم أن تنكسر أمام السهام أو تحول عنها (ولا ننحاشُ) ذلك هو رفض للحياة وإقدام وشجاعة في الاستبسال في المعركة من أجل نيل الشهادة وتحقيق الموت بطريقة عنيفة لإدراك أعلى المراتب في الجنان، فالشاعر ومن خلال الأداة النافية (لا) يؤكد رفض الحياة والاتجاه صوب الموت من دون خوف أو جزع، لتحقيق الرضا الذاتي الذي يسلكه شعراء الخوارج، وهذا يبدو جلياً من خلال ضمير الجماعة الذي يستعمله أكثر شعرائهم في نصوصهم الرافضة سلطة الحاكم والحياة والساعية إلى التغيير وإعادة التنظيم من جديد. لذلك حرصوا على الموت والاستشهاد في سبيل الله أكثر من حرصهم على الحياة الدنيا؛ فالشاعر يـــنظر " إلى الموت على أنَّه راحة من الألم أو أنَّه نوم في سلام "[٧٠].

إنَّهم كانوا أقل اهتماماً بقرابة الدم والأنساب وقد استطاعوا، مما لم يستطع غيرهم من المسلمين، احلال العقيدة محل القرابة، فانتزعوا أنفسهم من أُسرهم وقبائلهم، وقبلوا كل منتسب إلى مذهبهم من دون النظر إلى عشيرته، ولم يكونوا في جملتهم ينتسبون إلى أُمهات القبائل العربية كقريش وثقيف [٧١] وغيرهما، وأكثرهم انتسابهم كان لقبائل أقل أهمية وشهرة، وهذا يؤكد الجاذبية الثورية التي حملت إليها المظلومين والمتعطشين إلى العدل من كل القبائل.

فَمدح قبيلة أو هجاء قبيلة يتعلقان بموقفها من الخوارج، وليس كما ذكرت الدكتورة سهير القلماوي.[٧٢] من أنَّه تعصب لقبيلة لم يستطع الخوارج التخلص منه، لأنَّ معظمهم من الأعراب. وقد أكد فلهوزن حقيقة انسلاخهم من قبائلهم وانتمائهم إلى حزبهم الديني

وعقيدتهم السياسية.[٧٣] ومن كثرة عبادتهم فقد سيطر عليهم شعور الخوف من عذاب الآخرة، فهذا الزهد أورثهم الشجاعة، ولم يورثهم الخوف أو الانسحاب.

والزهد يمثل حالة الرفض والاغتراب التي يعانونها " فعدم الشعور بالانتماء إلى الموقف العام أدى بهم إلى انعدام الشعور بمغزى الحياة والتلذذ بنعيمها "[٧٤] ومن لا يستطع الاستمتاع بالدنيا يستعجل الخلاص فيها. فقد تعلقت آمالهم بتحقق مبادئ العدالة والمساواة، فحب الله تعالى والانتماء إلى العقيدة هو أساس الرابط الحقيقي بينهم، مما نجد في قول الشاعر أبي بلال مرداس بن أدية:

من كان من أهلِ هذا الدين كان لـه ... ودّي وشـاركته فـي تالـدِ المـالِ
اللهُ يعلـمُ أنـي لا أحـبُّهُمُ ... إلا لوجهـكَ دونَ العـمِّ والخـالِ[٧٥]

فالرفض القائم على بناء وتجسيد علاقات شخصية أو قبلية أو اجتماعية (لا أحبُّهُمُ) على حساب الدين هو أمر مرفوض لدى الخوارج، ما لم تك تلك العلاقة قائمة على أساس الفكر، والمعتقد، والمنهج الذي يتّبعونه، في فكرة التآخي والحب في الله (إلا لوجهكَ) دون مراعاة صلة القرابة والانتماء القبلي، فهنا جاءت أداة النفي (لا) لتعني رفض القبلية والانتماء الأُسري، والانتساب فقط للمجموعة الموالية للعقيدة والفكر الذي يسلكه الخوارج.

لذا فقد قضوا حياتهم لتحقيق حلم صعب التحقيق، وإنّ التضحيات التي قدمّوها وإجماع القوى الأخرى على حربهم ترك أثره في نفسيتهم، وفي سلوكهم، فبرزت عندهم ظاهرة (الزهد بالحياة) وهم يعيشون ضمن منظومة من الأفكار والأحلام التي يأبى الواقع تحقيقها، لما فيها من تطرف. فالدين والالتزام به من خلال مبدأ التقوى هو مقياس التفاضل وكل ما سواه فهو مرفوض لديهم، ومما يُنسب إلى عيسى بن فاتك الخطي قوله:

أبـي الإسـلامُ لا أَبَ لـي سـواهُ ... إذا فخـروا ببكـرٍ أو تمـيمِ
كـلا الحيـين ينصـرُ مُدَّعيـه ... ليلحقَـهُ بـذي الحَسَـبِ الصـميمِ
ومـا حَسَـبٌ ولـو كَرُمَـتْ عـروقٌ ... ولكـنَّ التقـيَّ هـو الكـريمُ[٧٦]

فهنا رفض الانتماء لغير دين الله تعالى؛ لأنَّ الفخر هو للمبدأ والعقيدة أي في الالتزام الكامل بالإسلام (لا أَبَ لي سواهُ) لا للقبيلة (إذا فخروا ببكرٍ أو تميمِ) أي الانتماء القبلي، فالحسبُ الكريم يتجسدُ بمنظور الخوارج في التقوى، وليس بعراقة النسب والأصل (وما حَسَبٌ ولو كَرُمَتْ عروقٌ) تتقاتل وتتهافت على الصراع من أجل إبراز التقدم والتفاخر بالكرم

والأحساب بين هذه القبائل. لأنَّ " فلسفة الرفض ليست مذهباً سلبياً من الوجهة النفسية وهي لا تؤدي في مواجهة الطبيعة إلى مذهب عدميّ "[٧٧] وأكثر من ذلك فإنَّ " فلسفة الرفض (النفي) ليست ارادة سلبية، فهي لا تنطلق من تناقض يعارض من دون أدلة، ويثير جدالات فارغة وغامضة، وهي لا تتهرّب منهجياً من كلّ قاعدة إنَّها، خلافاً لذلك كلّه؛ وفية للقواعد، داخل منظومة القواعد " [٧٨]

فلا يُجابه ولا يواجه (الرافض) واقعاً أو فكراً أو معتقداً بالرفض والنفي، إلاَّ إذا كان على قناعة فكرية ودراية علمية أن ما يملكه ويريد تقديمه يقوم بديلاً حقاً وبموضوعيّة مقام ما يرفضه ويبتغي استبداله. فـ " الرافض يوجب اتصاف صاحبه بقوة الإرادة، لا بضعفها أو فقدانها، وقوله "لا" على رفض الشيء أدل على قوة إرادته من قوله "نعم" شريطة أن لا يكون رفضه ناشئاً عن دوافع غريزيّة عمياء " [٧٩].

و " ما دام الصدق والصراحة والشجاعة هي من أُمهات الفضائل التي اتصف بها الخوارج، فهم أبعد ما يكونون عن الخداع والمكر والمواربة، حتى مع أعدائهم، وهذا ناتج بطبيعة الحال عما عُرف عنهم من عفوية وتسرع في اعطاء الرأي"[٨٠] فهم على بعدٍ كبير عن الغدر والخيانة مهما كان شكله أو نوعه أو سببه، مما هو في قول يزيد بن حبناء:

لا أقربُ البيتَ أحبو من مُؤَخَّره ولا أُكَسِّر في ابنِ العمِّ أظفاري
إن يحجبِ الله أبصاراً أُراقبها فقد يرى اللهُ حالَ المدلج الساري[٨١]

فالشاعر يرفض أن يخرج على الأمور الدينية التي أمر الله تعالى بها، كما يرفض الخروج على العادات والتقاليد الاجتماعية التي أقرها المجتمع ؛ فهو لا يعرف أن يسير عكس التيار الديني والأخلاقي الذي شرعه الله تعالى، فلا يدخل البيوت إلا من أبوابها (لا أقربُ البيتَ أحبو من مُؤَخَّره) ولا يطعن في ابن العمّ حين يقلل من شأنه؛ فهو جزء مهم من جسده وقطعة منه (ولا أُكَسِّر في ابنِ العمِّ أظفاري) وإن كان بعض الناس لا تعلم بذلك بعد أن حجب الله عنهم البصر؛ فإنَّه تعالى وحده العالم بحاله عندما يسير وحده من أول الليل ابتغاء وجه الله تعالى من دون أن يشعر به أحد، فالله أقرب له من كل الخليقة وهو العالم بحاله.

ذلك أنَّ الانتفاضة تشكل ذروة الرفض وشكله الأسمى؛ إنَّه التعبير الرمزي المكثف، التعبير الذي يستفز القارئ ويحدث لديه حالة الرفض بل يقنعه به وهي دهشة الأسئلة الرافضة، الأسئلة التي لا تهادن ولا تصالح، الاسئلة التي ترسم شكل الحلم، ومن جهة ثانية

دفعه إلى التشبث بالرفض حتى يتحقق حلم الغد الضاحك، وحتى يصبح ببساطة الجمال جمالاً والجرح جرحاً فلا يلتبسان. وثمة أساليب بلاغية أخرى تؤكد منزع الرفض في شعرهم النفي والقصر. غير أنَّ من أهم ما يحظى لدينا بالأهمية في هذا السياق أسلوب التكرار. وهو يتنوع عند الشاعر تنوعاً كبيراً. بدءاً من الصوت، مروراً بالكلمة ووصولاً إلى العبارة والجملة.

لذلك فقد حرص شعراء الخوارج على اختيار الألفاظ الجيدة القادرة على التعبير عن تجاربهم الشعرية بطريقة ملائمة على وفق تراكيب وجمل سليمة موشاة بجميل البيان وجزل الألفاظ، فكانت اللغة العربية المعين الذي مد الشعراء بذلك الفن المنشود فـ " اللغة مخزن عظيم لقيم الحضارة والفكرة والوجدان "[٨٢] لذلك فقد انطلق شعراء الرفض في التعبير عما يختلج في نفوسهم من انفعالات وتصورات على وفق تراكيب رائعة نجحت في ابراز مشاعرهم الرافضة.

فهم لا يساومون على معتقداتهم، وكثيرون منهم دفعوا ارواحهم لتصلب مواقفهم وعدم مرونتها. غير أنَّ ردة الفعل عندهم قد تكون عنيفة وتبدو كأنَّها نوع من التعنت والمكابرة التي تفتقر إلى التسويغ والمنطقية. وقد وصف إحسان عباس أدب الخوارج في قوله " لون من الشعر زهدي ثوري جامح يُكبر الإنسان الخارجي إكباراً شديداً لأنَّ كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يُعدّ شهيداً، فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده، وهو الذي يستحق الرثاء والبكاء، مثلما أنَّ الجماعة الخارجية، هي العصبية المثالية التي تمثل الحق، فهي إذن تستحق المدح والثناء؛ ومن ثم كان موضوع هذا الشعر هو الإنسان – الإنسان الخارجي على وجه التحديد، والمحرك الداخلي فيه هو روح التقوى المتطرفة، فهو لذلك أدب قوي، يُزيد من شدة قوته التلازم بين المذهب الأدبي والحياة العملية " [٨٣]

ويُشير الرفض الاجتماعي إلى عدم استسلام الرافض لقيم المجتمع السائدة أو لبعضها، ومن ثَمّ فهو يرفض أن يتنازل عن نفسه. فالاغتراب يؤدي بالشاعر إلى اعتناق الرفض وسيلة من وسائل التصالح مع الذات من خلال الانفصال عن الأرض بما تحويه من آثام وذنوب وشرور وشقاء من أجل التوحد مع نفحة إلهية تعيد للذات صفاءها وطهرها وبريقها الأول. [٨٤]

الخاتمة

حاولت الدراسة الوقوف على الرفض في شعر الخوارج، من خلال تأكيد المخصوص الذاتي، فمنذ تكوينهم لم تهدأ ثوراتهم، وكلمّا فنيت جماعة تبعتها أخرى، فكانت أشعارهم تفيض بنزعة تشاؤمية، للظروف القاسية التي عاشها الخوارج، وأكثر أبياتهم عكست صورة الرفض من خلال ثنائية الحياة والموت بعدما أثروا العيش في حلم جنات الآخرة؛ لأنَّهم عجزوا عن تحقيق حلمهم في واقعهم الذي يعيشون فيه؛ إذ يصطرع في نفس الخارجي عالمان متناقضان، الواقع الذي يعيش فيه بما يتضمن من بؤس وظلم وانتهاك للحرمات وعالم الحلم الذي يطمح إليه، بما فيه من العدالة والسكينة.

ويمثلُ الانتصار على الواقع بالموت مُطَهِّراً حقيقياً للنفس، تُبعث بعده نقيّة من آثام الحياة. فالشاعر الخارجي يبيع نفسه لله تعالى ويؤثر الموت من أجل الحياة المرتبطة بالقيمة، وبهذا يجعل من الموت وجهاً آخر للحياة يقوده إلى الخلاص.

وتترد في شعر الحرب عند الخوارج إرادة قوية، وعزيمة لا تلين، وروح جبارة، وكان الزهد مُنتشراً في الخوارج لكثرة ما أصابهم من التسلط السياسي والقهر الاجتماعي على يد الأمويين، ولذلك تحفل حياة الخوارج بالكثير من المواقف والمشاهد التي يتجلى الخارجي فيها مُتعبداً ضارعاً إلى الله تعالى.

ومع كثرة عبادتهم سيطر عليهم شعور الخوف من عذاب الآخرة، فهذا الزهد أورثهم الشجاعة، ولم يورثهم الخوف والانسحاب، والزهد يمثل حالة الرفض والاغتراب التي يعانونها، فعدم الشعور بالانتماء للمواقف العام أدى بهم إلى انعدام الشعور بمغزى الحياة والتلذذ بنعيمها.

ولا غرابة أن يكون العدو حبيباً؛ لأنَّه الوسيلة التي يبغي بها الخارجي غايته، ولا تكتمل دائرة التقوى في حياة الخارجي إلاّ بالاستشهاد، فبرزت عندهم ظاهرة الزهد بالحياة، فالخوارج يعيشون ضمن منظومة من الأفكار والأحلام التي يعاند الواقع تحقيقها، لما فيها من التطرف.

وجل شعراء الخوارج يبثون في ألفاظهم من الحرارة واللوعة ما يجعلها تبدو وكأنَّها " صياغة " جديدة غير معهودة في الشعر القديم؛ ذلك لأنَّ الشاعر لا يتحرج من أن يكشف عن كل ما يعتلج في باطنه من حرقة أو يثقلها من يأس، وهكذا تتخذ صيغ " الندبة " و " النداء " في شعرهم وضعاً جديداً وقدرات على الرمز والإيحاء.

إذن لقد كان شعر الخوارج بتمثله مبدأ الرفض شعراً تقدمياً وإنسانياً وكان هؤلاء الشعراء الأعلام فرسان الكلمة ورجال الموقف ناؤا بالشعر عن قصور الحكام ونزهوه عن تضمنه العربدة المحببة إلى قلوب الجماهير، لقد طوحوا به في آفاق الإنسانية الرحبة، والتزموا حقاً- كما يلح جون بول سارتر على فكرة الالتزام في الأدب وعلى ضرورة تأميمه- بقضايا الوطن وتاريخه العريق وحاضره التعس ومستقبله المرهون بلا خطابية فجة أو إيديولوجية مقيتة فحافظ شعرهم على طراوته ونكهته الوجدانية ومضامينه الفكرية والإنسانية، وقد ساعدهم على ذلك نفس شعري قوي لا يخمد وروح تجديدية عنيدة لا تقهر ولا تخبو نارها، ووعي بالواقع في علاقاته المتشابكة لاسيما مع الغرب سياسة وثقافة، فجاء هذا الشعر في صيغته الحديثة شعراً إنسانياً – على الرغم من عثراته ونقائصه- وقد أثبت قوته وشبابه وحصانته وأنَّه قادر على اكتساح المنابر الثقافية، ليرفض فساد السلطة، وأساليب القمع، ومصادرة الحريات؛ فهو رفض لهذا الواقع المرِّ وهذا الوجودَ الذليل، رفضُ في البداية وفي النهاية لواقعهم، فنجد ذلك النبر الثوريّ الصادح الذي يثير ويلهب ويحمل بذار التغيير والتحول.

الهوامش

١. [١] الشعر في إطار العصر الثوريّ: د. عز الدين إسماعيل، ٨٦.
٢. [١] ينظر: الرفض في الشعر العربي المعاصر: أ. سعيدي محمد، مجلة الآداب واللغات، جامعة قصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد: ٧، مايو ٢٠٠٨، ١٣١.
٣. [١] ينظر: المصدر نفسه، ١٣٠.
٤. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: أحمد سليمان معروف، ١٦٢ .
٥. [١] المصدر نفسه: ١٦٢- ١٦٣.
٦. [١] ينظر: الخوارج والشيعة: يوليوس فلهزون، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، ٢٩ – ٣٢.
٧. [١] ينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين، ٣/ ٦٧.
٨. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ١٦٨.
٩. [١] المصدر نفسه: ١٦١.
١٠. [١] ديوان شعر الخوارج: جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، ٤٥.
١١. [١]) ينظر: الرفض في الشعر العربي قبل الإسلام: عارف عبد الله محمود الأحبابي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٩٩٩، ٤٠.
١٢. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٠٨. كنيته أبو مالك، وقد لقي مصرعه بعد قطري بن الفجاءة بقليل، وبموته ضعف أمر الأزارقة من الناحية الحربية، بعد أن أضعفتهم الانقسامات الكثيرة.

١٣. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ١٦١.
١٤. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٥٦.
١٥. [١] الملل والنحل: الشهرستاني، ١/ ١٥٥. ومروج الذهب: المسعودي، ٣/ ١٣٨.
١٦. [١] الاغتراب: ريتشارد شاخت، ترجمة: يوسف حسين، ٣٠.
١٧. [١] الأدب وقيم الحضارة المعاصرة: د. محمد زكي العشماوي، ٥٢.
١٨. [١] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، ٣/ ٢٠٣.
١٩. [١] الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: د. محمد قميحة، ٤٠٦ .
٢٠. [١] ينظر: آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة: د. مصطفى الضبع، المؤتمر العلمي الخامس، أكتوبر ٢٠٠٢، ١.
٢١. [١] شجاعة الإبداع: روللو ماي، ترجمة: فؤاد كامل، ٩١.
٢٢. [١] ينظر: فدوى طوقان، ٢٣. والموقف والقضية: هاني ابو غضيب، ١٥٢.
٢٣. [١] ينظر: آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة: ٣.
٢٤. [١] الإسلام الخوارجي: أحمد معطية، ٦٢.
٢٥. [١] ينظر: تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان: د. فاتنة محمد حسين، مجلة سرى من رأى، المجلد: ٧، العدد ٢٧، السنة السابعة، تشرين الأول، ٢٠١١، ١٩٠.
٢٦. [١] ينظر: زمن الشعر، ادونيس، ١٦١.
٢٧. [١] ينظر: استراتيجيات القراءة التأصيل والاجراء النقدي، بسام قطوس،١٦٤.
٢٨. [١] شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام: ٣٦ .
٢٩. [١] ديوان شعر الخوارج: ٦٥.
٣٠. [١] ينظر: الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي: قطري بن الفجاءة نموذجاً: د. محمد الحلحولي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد ٦، العدد ١، ٢٠١١، ٨٩.
٣١. [١] مفاهيم العقل العربي: علي القاسمي، ٢٨٦.
٣٢. [١] ديوان شعر الخوارج: ٧٦– ٧٧. في أنساب الأشراف ٢/٤ : هو أحد فقهاء الخوارج ونساكها، وكان لا يرى القعود عن الحرب، وكان في الرأي والمعرفة والفقه بمنزلة عمران بن حطان، وله أشعار كثيرة في مذاهبهم. والرتبيص: الترقب والانتظار. وزهرة الدنيا: حسنها وبهجتها وغضارتها. ومخاميص: جمع مخماص، وهو الضامر البطن.
٣٣. [١] تاريخ الأدب العربي، الأدب الإسلامي: د. شوقي ضيف، ٢.
٣٤. [١] هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: د. عبد الرزاق الدليمي، ٤٦.
٣٥. [١] ديوان شعر الخوارج: ٨١. من مجتهدي الخوارج، كان يلوم نفسه على القعود ويحضُّ أصحابه على الخروج؛ وقد كان مقتل أبي بلال حافزه على الخروج، وبعد محاورات بينه وبين نافع صمم على الخروج فاشترى سيفاً صقيلاً كان يذم الخوارج فشحذه عنده وقتله به وحمل على الناس فهربوا أمامه ثم قبض عليه ابن زياد فصلبه.
٣٦. [١] الإسلام الخوارجي: أحمد معطيه، ٨٨.

٣٧. [١] ديوان شعر الخوارج: ٨٢. المخرق: السيف. المبير: المهلك.

٣٨. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ٨٩.

٣٩. [١] ديوان شعر الخوارج: ٩٩. بنو حبناء ثلاثة اخوة من تميم وهم: يزيد، وصخر، والمغيرة، والأول منهم كان من الأزارقة أما الاثنان الآخران فكانا أمويي الهوى. غموس: واسعة محيطة. والعنبري بن سالم: رجل منهم كان يقال له الأشدق.

٤٠. [١] شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى نهاية سنة ٢٣ هجرية: أيهم عباس حمودي القيسي، ٢٥٣ – ٢٥٤.

٤١. [١] الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: النعمان عبد المتعال القاضي، ٤٣٧.

٤٢. [١] ديوان شعر الخوارج: ١١٩.

٤٣. [١] المصدر نفسه: ١٢٢. قطري بن الفجاءة شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها والخليفة المسمى أمير المؤمنين في أصحابه، وترجم له ابن خلكان (93:4) ويقال أنَّه توفي سنة ٧٨ أو ٧٩ هـ، وجعل الطبري وفاته سنة ٧٧هـ.

٤٤. [١] الإسلام الخارجي: ٨٩.

٤٥. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٢٧.

٤٦. [١] ينظر: المصدر نفسه: ٧.

٤٧. [١] المصدر نفسه: ١٣٣. مصاليت: جمع مِصْلَت وهو الماضي في الأُمور. والمقادم: الوجوه والنواصي والجبهات.

٤٨. [١] الخوارج في العصر الأموي: نايف معروف، ٢٧١.

٤٩. [١] ديوان شعر الخوارج: ٢١٤. هو زعيم الخوارج أيام عمر، ظلَّ مخلداً إلى السلم طوال عهد عمر، فلما جاء يزيد خرج بسطام في جوخى، فوجه مسلمة بن عبد الملك إليه جيشاً بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي، فقتل بسطام وأكثر أصحابه وانهزم من بقي، وقتل مع بسطام الريان بن عبد الله اليشكري، وهدبة اليشكري ابن عمه، ومقاتل بن شيبان أبو شبيل.

٥٠. [١] الخوف من الحرية: أيريك فروم، ترجمة: خالد عبد المنعم مجاهد، ١٥٠.

٥١. [١] ينظر: قلق في الحضارة، فرويد، ٢٦. نقلاً عن الرفض ومعانيه في شعر المتنبي: ٥٠. وينظر: معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لابلانش، ترجمة: مصطفى حجازي، ٢٦٢ – ٢٦٣.

٥٢. [١] ينظر: من صور الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، مجلة قضايا عربية، لبنان، عدد ٦، لسنة ١٩٨١، ٩٣.

٥٣. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ١١٩.

٥٤. [١] ألبير كامو وأدب التمرد: جون كروكشناك، ترجمة: جلال العشري، ١٢٨.

٥٥. [١] مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية التحريرية: د م ج، ٢٠.

٥٦. [١] ينظر: مواقف في الأدب الأمويّ: د. عمر فاروق الطباع، ٢١ وما بعدها.

٥٧. [١] التطور والتجديد في الشعر الأمويّ: د. شوقي ضيف، ٢٧٦.

٥٨. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ١٧٠.

٥٩. [١] المصدر نفسه: ١٠١.

٦٠. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٢٦. يركن: يميل. الإحجام: النكوص. والدريئة بالهمز من الدرء وهو الدفع.

٦١. [١] ينظر: تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان: د. فاتنة محمد حسين، مجلة سرى من رأى، المجلد: ٧، العدد ٢٧، السنة السابعة، تشرين الأول، ٢٠١١، ١٧٧.

٦٢. [١] ينظر: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، ٢٤٤.

٦٣. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٠٣. من بني سعد بن زيد بن مناة من تميم، أزرقي حارب مع قطري وعبيدة بن هلال، ثم انحاز إلى عبد ربه الكبير. تنابلة: جمع تنابل وهو الرجل القصير. الرعش: الجبان، وكذلك الرعديد.

٦٤. [١] ينظر: الرفض في الشعر العربي قبل الإسلام: ٧٤.

٦٥. [١] الخوارج في العصر الأموي، نشأتهم، تاريخهم، أدبهم: نايف معروف، ٢٥٩.

٦٦. [١] ينظر: الخوارج في بلاد المغرب: أحمد إسماعيل عبد الرزاق، ٥٥. والخوارج، عقيدة وفكراً وفلسفة: عامر النجار، ٢٢.

٦٧. [١] هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي، ٢٩٥.

٦٨. [١] ينظر: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د. عز الدين إسماعيل،٤١٠.

٦٩. [١] ديوان شعر الخوارج:٦١. سيرة معاوية إلى مصر فلقي فيها قوماً من الخوارج أمالوه إلى رأيهم، فقدم العراق وأراد الخروج على زياد وتأهب لذلك، فطلبه زياد فهرب، ثم كلم فيه معاوية فكتب إلى زياد بالكف عنه، وقتل مع مسلك بن عقبة يوم الحرة.

٧٠. [١] قلق الموت: د. أحمد محمد عبد الخالق، ٩٠.

٧١. [١] ينظر : الخوارج والشيعة : ٢٦ ، ٣٤ .

٧٢. [١] ينظر : أدب الخوارج في العصر الأموي: ٤٩ .

٧٣. [١] ينظر : الخوارج والشيعة : ٤٢ .

٧٤. [١] الاغتراب في الشعر الأموي: فاطمة السويدي، ٧٢.

٧٥. [١] ديوان شعر الخوارج: ٦٤. ها هنا التفات" إلا لوجهكَ" ؛ والمعنى أنت تعلم يا رب أني أحب إخواني لوجهكَ لا لرابطة من روابط القرابة.

٧٦. [١] ديوان شعر الخوارج: ٧٢. دعيَ القوم ينصر مدعيه. وقال البلاذري: هو عيسى بن حدير أحد بني وديعة، فهو من بني تميم اللات بن ثعلبة، وكان من أصحاب نافع بن الأزرق وقتل بعد خروج الأزرقة، وذكر البلاذري أن له شعراً كثيراً. سماه المَبرد عيسى بن فاتك.

٧٧. [١] فلسفة الرفض: غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، ٥.

٧٨. [١] المصدر نفسه: ١٥٣.

٧٩. [١] المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ٦١٨.

٨٠. [١] قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: ١١٦.

٨١. [١] ديوان شعر الخوارج: ١٠١. المدلج: الذي يسير من أول الليل، والسرى لا يكون إلاَّ سير الليل.
٨٢. [١] مواقف في اللغة والأدب والفكر: محمد مبارك، ١٦٤.
٨٣. [١] ديوان شعر الخوارج: ٩.
٨٤. [١] ينظر: فدوى طوقان، الموقف والقضية: ١٥٣.

المصادر والمراجع

(١) آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة: د. مصطفى الضبع، مجلة أفق الثقافة، فبراير ٢٠٠٤.
(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: د. محمد قميحة، دار الآفاق الجديدة، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
(٣) أدب الخوارج في العصر الأموي: سهير القلماوي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٤٥.
(٤) الأدب وقيم الحضارة المعاصرة: د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ١٩٨٠.
(٥) استراتيجيات القراءة التأصيل والاجراء النقدي: بسام قطوس، مؤسسة حمادة، ودار الكندي، أربد، ١٩٩٨.
(٦) الإسلام الخوارجي: أحمد معطية، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٠.
(٧) الاغتراب: ريتشارد شاخت، ترجمة: يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٠.
(٨) الاغتراب في الشعر الأموي: فاطمة السويدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧.
(٩) ألبير كامي وأدب التمرد: جون كروكشانك، ترجمة وتعليق: جلال العشري، مطبعة الوطن العربي، د.ت.
(١٠)البنيات الدالة في شعر أمل دنقل: عبد السلام المساوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٤.
(١١)تاريخ الأدب العربي، الأدب الإسلامي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
(١٢)تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان: د. فاتنة محمد حسين، مجلة سرى من رأى، المجلد: ٧، العدد ٢٧، السنة السابعة، تشرين الأول، ٢٠١١.
(١٣)التطور والتجديد في الشعر الأمويّ: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٧، ١٩٨١.
(١٤)الخوارج، عقيدة وفكراً وفلسفة: عامر النجار، مكتبة المقدسي، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
(١٥)الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري: محمد إسماعيل عبد الرزاق، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٥.
(١٦)الخوارج في العصر الأموي، نشأتهم، تأريخهم، أدبهم: نايف معروف، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤.
(١٧)الخوارج والشيعة: يوليوس فلهزون، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥٨.

(١٨)الخوف من الحرية: أيريك فروم، ترجمة: خالد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.

(١٩)ديوان شعر الخوارج: جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٩٨٢.

(٢٠)الرفض في الشعر العربي قبل الإسلام: عارف عبد الله محمود الأحبابي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٩٩٩.

(٢١)الرفض في الشعر العربي المعاصر: أ. سعيدي محمد، مجلة الآداب واللغات، جامعة قصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد: ٧، مايو ٢٠٠٨.

(٢٢)الرفض ومعانيه في شعر المتنبي: يوسف الحناشي، الدار العربية للكتاب، المطبعة الثقافية، تونس، ١٩٨٤.

(٢٣)زمن الشعر: ادونيس، دار العودة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨.

(٢٤)شجاعة الإبداع: رولو ماي، ترجمة: فؤاد كامل، دار سعاد الصباح، القاهرة، ط١، ١٩٩٢.

(٢٥)الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت، ط ٣، ١٩٨١.

(٢٦)شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى نهاية سنة ٢٣ هجرية: أيهم عباس حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

(٢٧)الشعر في إطار العصر الثوري: د. عز الدين إسماعيل، لبنان، دار الحداثة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

(٢٨)ضحى الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

(٢٩)فدوى طوقان، الموقف والقضية: هاني ابو غضيب، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣.

(٣٠)الفرق الإسلامية في الشعر الأموي: النعمان عبد المتعال القاضي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

(٣١)فلسفة الرفض: غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

(٣٢)قراءة جديدة في موقف الخوارج وفكرهم وأدبهم: أحمد سليمان معروف، دار طلاسدار، دمشق، ط١، ١٩٨٨.

(٣٣)قلق في الحضارة: سيغموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٧٧.

(٣٤)قلق الموت: د. أحمد محمد عبد الخالق، عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٧.

(٣٥)كتاب الوحشيات: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ومحمود شاكر، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٨٧.

(٣٦)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣.

(٣٧)مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار السعادة، مصر، ط ٤، ١٩٦٤.

(٣٨)المعجم الفلسفي: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧١.

(٣٩)معجم مصطلحات التحليل النفسي: جان لابلانش وجان برتراند بونتاليس، ترجمة: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٥.

(٤٠)مفاهيم العقل العربي: علي القاسمي، دار الثقافة، مؤسسة الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤.

(٤١)مفهوم التمرد عند ألبير كامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية: محمد يحياتن، د م ج، الجزائر، ط١، ١٩٨٤.

(٤٢)الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح، تحقيق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

(٤٣)من صور الرفض والتحدي في الأدب الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، مجلة قضايا عربية، لبنان، عدد ٦، ١٩٨١.

(٤٤)مواقف في الأدب الأمويّ: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩١.

(٤٥)مواقف في اللغة والأدب والفكر: محمد مبارك، دار الفارابي، بيروت، ١٩٧٤.

(٤٦)الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي، قطري بن الفجاءة نموذجاً: د. محمد الحلحولي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد ٦، العدد ١، ٢٠١١.

(٤٧)هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: د. عبد الرزاق خليفة محمود الدليمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١.

ABSTRACT

Poetry as an art form is deeply related with the idea of " rejection" since the early stages of its germination and until now. This idea is embedded in poetry because of the social problems and the contradictions of life.

This study falls into three sections and a conclusion, section one deals with concept of rejecting and the established standing rules of authority which was one of the major beliefs of the outsiders poets.

Section two: tackles the concept of a evolution it shows how the poets revolted against the rules of government and authority in order to formalize their own vision of the future.

Section three: deals with the idea of the reorganization of the world according to the poets', beliefs.

Then follows the conclusion which sums up. the findings of the tudy.